التجديد في الفكر الإسلامي: المفهوم، الضوابط، والجهود الإصلاحية المعاصرة

زهرة عمران الأحمر
كلية التربية ـ الزهراء / جامعة الجفارة
afkma1985@gmail.com

الملخص

يمثل مفهوم التجديد أساس وحدة كل نظام فكري معرفي، من شأنه التعبير عن موقف أو نظرية ما، كما يمكن أن يعد انعكاساً يمثل جانب من جوانب الفكر عامةً، فالتجديد تنشأ نتيجة توفر عوامل نفسية، وآليات فكرية، وتوجه فكري معين، مع ضرورة ربطه بمتطلبات وحاجات العصر(البيئة الخارجية)، حيث برز هذا المفهوم بشكل لافت في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، والغربي كذلك، منذ ما يزيد عن قرنين من الزمان، لاسيما بعد ظهور عديد المفاهيم الأخرى: كالنهضة، والإصلاح، والثورة، التغيير وغيرها.

إذن فهي مفاهيم تحكم تواجدها ظروف عدة اجتماعية، وفكرية سائدة في المجتمع ، إضافة إلى أنظمة الحكم السياسية بما تحمل من نزاعات وصراعات، لذا فقد تركز الهدف من هذه الدراسة على معرفة المعنى الحق لمفهوم التجديد الذي نسعى إلى الوصول إليه كمسلمين، حتى لا نقع في الخطأ وسوء الفهم، لاسيما أن موضوع التجديد نربطه علاقة وثيقة بالعقيدة، والشريعة، ولتحقيق الوصول لهذا الهدف تم توظيف المنهج التحليلي للعمل على استخلاص المعاني التي انطوت تحت هذا المفهوم في دراسة لعدد من المحاور التي لا يمكن الوصول إلى نتائج فاعلة دون عرضها وتحليلها: كتحليل مفهوم التجديد ومقارباته، والضوابط الواجب توفرها في المجدد، للتفرقة بينه وبين المجتهد، مع التعريج على إبراز دور روّاد الفكر العربي الإسلامي المعاصر في تحقيق النهضة، وصولا لعرض أبرز ملامح التجدد (النموذجي)، الذي نسعى لتحقيقه كمسلمين طلباً للتقدم والرقي فكرياً، وعقائدياً، وسلوكياً في ضوء كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام .

الكلمات المفتاحية :
التجديد الإسلامي ، المجدد والمجتهد ، الفكر الإسلامي المعاصر ، الإصلاح والنهضة ، ضوابط التجديد في الإسلام

Abstract

The concept of renewal (Tajdeed) forms the foundation of unity within every intellectual and epistemological system. It serves as an expression of a particular stance or theory and can also be seen as a reflection representing an aspect of thought in general. Renewal emerges as a result of psychological factors, intellectual mechanisms, and a specific ideological orientation, while also necessitating a connection to the demands and needs of the era (the external environment). This concept has notably emerged in contemporary Arab, Islamic, and Western thought over the past two centuries, especially following the rise of other related concepts such as renaissance (Nahda), reform (Islah), revolution (Thawra), and change (Taghyeer), among others.

Thus, these concepts are governed by various prevailing social and intellectual circumstances within society, in addition to political systems with their inherent conflicts and struggles. Therefore, the primary objective of this study is to uncover the true meaning

of renewal (Tajdeed) that we, as Muslims, seek to attain—so as to avoid error and misunderstanding—especially since the subject of renewal is closely tied to creed (Aqeedah) and Islamic law (Sharia). To achieve this goal, an analytical approach has been employed to extract the meanings embedded within this concept by examining several key themes essential for deriving effective conclusions. These include analyzing the concept of renewal and its various interpretations, the criteria that distinguish a renewer (Mujaddid) from a juristic interpreter (Mujtahid), and highlighting the role of pioneering figures in contemporary Arab-Islamic thought in achieving renaissance (Nahda).

Ultimately, the study aims to present the most prominent features of ideal renewal—the model we aspire to achieve as Muslims in pursuit of intellectual, doctrinal, and behavioral progress and elevation—guided by the Book of Allah and the Sunnah of the Prophet (peace be upon him).

1. المقدمة:

لقد كانت من أسباب حاجتنا الماسة إلى التجديد في الثقافة الإسلامية ، ما عانت منه أمتنا العربية الإسلامية من عوامل ضعف عدة: مادية، وعسكرية، واقتصادية، ومعنوية، أمام الآخر (الغرب)، الذي هيمن بقوته وسطوته على كل الأرجاء، إلا أن هذا لم يكن السبب الوحيد! ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبي داود وغيره عن أبي هريرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)،(أبي داود، دس، ص413). من هنا تبدو لنا ملامح دعوة صريحة للأخذ بالتجديد، فنحن لا نشعر بالحاجة إلى التجديد، إلا عند مواجهتنا لعدد من التحديات، ولا يكون التحدي إلا حينما يكون لدينا مصدر أساسي، وأصل ثابت بمثابة معيار لقياس الصواب من الخطأ، والمقبول من المرفوض من أفكار تستجد على زماننا بتجدد التحديات المستمرة الحدوث في حياتنا، فالتجديد هو أحد مقومات الشريعة، وسبيلها إلى تحقيق المرونة التي تعد من أبرز خصائصها، ولا يخفى على أحد أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، لطالما أكد على ضرورة التجديد في (الدين) بشكل منتظم على أيدي علماء الأمة، لدرجة أن حديثه الصحيح والمشهور حول التجديد، تناوله العديد من المختصين والمهتمين من علماء الأمة قديماً وحديثاً بالبحث، والتحليل، والدراسة، كما كتبت فيه العديد من الرسائل المستقلة التي أثارت من خلالها عديد المسائل والقضايا الجدير بالاهتمام .

إن التجديد في هذه الحالة، يطال الشعائر والعقائد ويتعداها إلى باقي العلوم المختلفة، والقصد من ورائه تجدد الابداع بالعقل البشري، والقضاء على جموده بالاكتفاء بالترديد والتقليد فقط .

بناءً على ما تقدم، سيتم تخصيص هذه الورقة للحديث حول قضية (التجديد) كونها من قضايا الإسلام والمسلمين المهمة، والتي تحتاج في جوانب عدة للمزيد من البحث وإمعان النظر فيها، لأهميتها وتأثيرها في حياة المسلم الخاصة والعامة .

2. إشكالية البحث:

إن إشكالية البحث الرئيسية يمكن عرضها في عدد من التساؤلات على هذا النحو:-

س1: ما أهمية التجديد في حياة المسلم ؟

س2: إلى أي مدى كان لروّاد حركة الإصلاح والنهضة دوراً في الرفع من نهضة الإسلام والمسلمين على كافة الأصعدة ؟

س3: ما مدى الحاجة إلى التجديد ؟ وما أبرز ملامح التجديد الذي نريد ؟

3. أهمية البحث:

لا شك ان الأمة الإسلامية بأمس الحاجة إلى من يجدد فيها روح الدين، فالفكر الإصلاحي كان رسالة إصلاحية ، وتوجيهات أخلاقية، لطالما نادى بضرورة العودة إلى روح الإسلام كونه مصدر الإصلاح، فالدعوة الإصلاحية قامت على نهضة قوية على يد رجالات الفكر الإصلاحي للوصول بالأمة الإسلامية إلى أعلى مراتب الازدهار، لذا فقد كان محور اهتمامنا في هذه الورقة التجديد في الفكر الإسلامي من حيث: الماهية، والمفهوم، والدواعي، وأبرز الجهود الإصلاحية في هذا المجال، والتي من شأنها العمل جاهداً على تنقية ما شاب قضايا حياتنا من غموض وخلط عل كافة الأصعدة .

4. أهداف البحث:

1- الاطلاع على سير بعض العلماء المجددين والمصلحين، ممن استطاع منهم رفض التقليد والجمود، في محاولات إصلاحية تتماشى مع ما دعانا إليه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .
2- العمل على بعث الحياة في قضية التجديد، ومعرفة مدى أهمية موائمتها للعصر المعيش .
3- إضافة الواقعية على ملامح التجديد في الفكر العربي المعاصر ، لتحقيق قراءة علمية حول قضية التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، وإدراك مدى انعكاسها على حياة الإنسان .
4- إضافة هذه الدراسة إلى مجال البحوث الأكاديمية، رغبةً في المساهمة في إثراء جانب من جوانب الفكر الإسلامي بعامةً، والمعاصر بخاصة .

5. منـهج البحث:

المنهج التحليلي بما يتماشى مع طبيعة الموضوع .

6. هيكلية البحث:

بناء على ما سبق، تم في هذه الورقة البحثية تناول المحاور الأتية:

●المحور الأول: دار حول مفهوم التجديد ومقارباته .

●المحور الثاني: تم من خلاله عرض أبرز نقاط الاتفاق والاختلاف بين المجدد والمجتهد، مع التعريج على الشروط الواجب توافرها في المجدد .

●المحور الثالث: تناول عرضاً لصور من التجديد في الفكر الإسلامي، من خلال إبراز جهود وأراء لعدد من المصلحين المسلمين في مجال الإصلاح والنهضة، أمثال: رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، ومحمد عبدة، وجمال الأفغاني وغيرهم، كونهم كانوا مثلاً يحتذى به في الرفع من صرح الإصلاح والنهضة في المجتمع الإسلامي .

●المحور الرابع: تم تخصيصه للحديث عن النموذج الأمثل للتجديد الذي نريده، والذي لابد أن يتماشى مع متطلبات العصر الذي نحياه، في ضوء كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

هذا وقد تم تذييل هذه الورقة بخاتمة تحوي أهم النتائج التي تم التوصل إليها، مع عرض لقائمة المصادر والمراجع .

محـاور البحـث

المحور الأول: مفهوم التجديد ومقارباته

لقد كان الهدف الرئيسي للاتجاه التجديدي في الإسلام ،تحرير الفكر الإسلامي من قيد الجمود والتقليد، بالعمل على غربلة التراث القديم بما يتماشى مع ظروف العصر المعيش، ومن ثَّم فتح المجال لباب الاجتهاد، لمواجهة الفكر الغربي وما يحمله من تناقض وتعارض صارخ، مع ما نحمله من تراث وأصالة.

إن التجديد مشتق من مادة (جدّدّ) التي تحمل معانٍ عدة حيث يقال: "جدّدّ الشيء، صيَّره جديداً، والتجديد إنشاء شيء جديد، والتجديد إما أن يكون مادياً كتجديد الملبس والمسكن، أو معنوياً، كتجديد مناهج التفكير وطرق التعلم"،(صليبا، 1971م، ص240)، وإذا رجعنا إلى قضية التجديد في الفكر الإسلامي نجدها تشغل حيزاً هاماً وحيوياً، فهي تعني "العودة إلى منابع أصول الشريعة والكتاب والسنة، وهي عملية تجديد ضد الفساد في حياة الناس"،(القاضي، 2008م، ص29)، وفقاً لذلك، فالتجديد في الفكر الإسلامي يبين أن الإسلام هو ذلك النظام الحاكم للقيم والأفكار، والمنظم للعلاقات، كما أن لديه القدرة على خلق روح التفاعل بين الثقافات المتعددة، فهو بمثابة محاولة رصينة لإحياء الإسلام وتعاليمه.

من العلماء من رأى في التجديد "حركة فرد أو أفراد، ومنهم من رأى فيه حركة مجتمع بكامل مكوناته... والمجدد هو المجتهد، إذ لا يمكن أن يضطلع بمهمة التجديد في الدين إلا مجتهد مؤهل للاجتهاد"(شبَّار، 2016م، 54) ، فالتجديد في هذه الحالة ما هو إلا محاولة العودة إلى ما كان عليه حاله عند نشأته، أي لا يعني التجديد تغيير صورة القديم أو إبداله بآخر مستحدث، بل هوا الاجتهاد في البناء على الأساس القديم، وغربلته من رواسب الجاهلية بالعمل على محاولة إحيائه نقياً خالصاً ، كما أن التجديد يكون فقط في ما لم يرد فيه نص ، ولم يتقرر له حكم، ولا يوجد شبيهه ليقاس به عليه، ففي هذه الحالة يكون الاجتهاد فيه ليأخذ حكمه وفق ضوابط محددة، فالتجديد الإسلامي في هذه الحالة ليس تأسيساً لفكر جديد، أو مجرد إحياء لفكر قديم، بل هوا عملية تفاعل حيوي داخل فكر قائم لإعادة اكتشافه وتطويره وفقاً للفهم الزمني الذي يعي حجات العصر،(شبَّار،2016م، ص55).

إن لمصطلح التجديد مقاربات عدة تصب في ذات المدلول، منها: مصطلح (الصحوة) التي عدّها البعض "حالة تجد فيها الأمة نفسها، وقد وعت ذاتها، وعرفت من حولها، وأدركت أبعاد عصرها، وشعرت بقدرتها على الاستجابة للتحديات التي تواجهها، وعلى التحرر من التبعية للآخرين"،(القاضي،2008م، ص26)، ليأتي مصطلح (الإحياء) ليشير إلى معنى إحياء الدين في نفس المسلم بردع الباطل ورد الناس إلى طريق النور والهداية، في حين كان مصطلح (الإصلاح) الأكثر انتشاراً وذيوعاً، والقصد من ورائه إصلاح كافة أوضاع الحياة السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية، (بكر، 2001م، ص32)، كما تربطه علاقة أكيدة بمشاريع النهضة والتقدم، ورغم أن كلمة تجديد وردت في الحديث النبوي تحمل مصطلح (الإصلاح)، وهناك من يرى أن كلمة تجديد قد لا تكون مقبولة في التعامل مع الخطاب الديني، نظراً لأنها تحمل إيحاء بما يقابلها، أي القديم غير المرغوب فيه، وهي معانٍ غير محمودة في التعامل مع أصول الخطاب الديني تهدف لطمس معالمه والعبث بأصوله بزعم تجديده وتطويره، (القاضي، 2008، ص28).

وفقاً لما تقدم فالتجديد عبارة عن فاعلية إنسانية مصدرها الفرد والمجتمع، تقوم على ترك وضع الجمود والثبات، وأخذ المبادرة نحو النمو والنماء، فالمحور الأساسي الذي يدور حوله ولأجله التجديد هو (الإنسان) بغية تطويره وتحسين ظروف حياته الفكرية الإنسانية، كما نستطيع التماس مفاهيم عدة تقاربه في الدلالة: كالتحول، والتغير، والتبدل، فالتجديد تغير يلحق بالأشخاص أو الأشياء، وهو قسمان: تحول في الجوهر، وتحول في الأعراض، (صليبا، 1971م، ص259)، في حين يعني (التقدم) السير إلى الأمام ومبارحة المكان، فيبرز التقدم عن كل تجديد، فهو تنمية وزيادة في الإنتاج الفكري والمادي، وهو أساس ومطلب كل حضارة، ففيه دلالة على تحول الشيء من طور إلى طور وصولاً للارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، وكلمة (الارتقاء) تتضمن حتماً التبديل، إلا أنه ليس كل تبديل ارتقاء، في حين تعني (الصحوة) "عودت الوعي والانتباه بعد غيبة، وقد يتم التعبير عنها بمفهوم (اليقظة) في مقابل الرقود أو النوم الذي أصابها في عهد الاستعمار... كما عبر عن الصحوة أحياناً بالبعث، (صليبا، 1971م، ص295)، حيث شاع اصطلاح الصحوة مرتبطاً بالاصطلاحات الثلاثة:(إحياء، يقظة، نهضة) باصطلاح التجديد الشائع في تاريخنا، إلا أن مصطلح (النهضة) لم ينل شهرة واسعة كالإصلاح ربما لحمله مضامين مادية، وتخطيه نطاق الخطاب الديني نحو أفق أكثر عمومية، إلا أنه رغم ذلك حمل مفهوم (النهضة) معنى التجديد والإصلاح معاً، كونها لا تحدث إلا بعد سقوط، وضعف، وتعثر، وهو ما جسده الإسلام في نهضة

دينية كان القصد منها النهوض بالمسلمين على كافة الأصعدة، إلى جانب استخدام مصطلح (إعادة البناء) الذي كان القصد من ورائه إعادة بناء الفكر الديني الإسلامي، إضافة لاستخدام مصطلح (الإحياء) أي إحياء الدين في النفوس ورد الناس إلى الدين الحق، حيث شاع استعمال هذا المصطلح قديماً وحديثاً في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ما يدل على ما لقضية التجديد من مكانة هامة ومحورية في الفكر الإسلامي .

لما كان التجديد معالجة لما يتعرض له المسلمين من اشكاليات وقضايا، لابد أن له شروطاً على المجدد الالتزام بها ومراعاتها منها :-

أولاً: تحديد المصطلحات والمفاهيم .

ثانياً: التوافق بي النقل والعقل .

ثالثاً: الجمع بين العلوم الإسلامية والنظر العقلي .

رابعاً: وضوح المسار المنهجي، (مفتاح، 1999م، ص17،18).

بناءً على ما تقدم، يمكن القول أن مفهوم التجديد الإسلامي يقوم على الآتي :-

1- العلم النافع ، مع ضرورة تأمل علوم الشريعة لاستنباط ما تحمله النصوص من حكم ومقاصد .

2- ردع أهل البدع والباطل، ومواجهتهم بالحجة والبرهان وفق منهج كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

3- محاولة اصلاح أحوال الناس وسلوكياتهم وفق ما تقتضيه تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف .

المحور الثاني : الفرق بين المجدد والمجتهد ، والشروط التي يجب توفرها في المجدد

أولاً:- الفرق بين المجدد والمجتهد

لقد اختلف العلماء حول مسألة من هو المجدد ؟ وهل يشترط فيه أن يكون مجتهداً أم لا ؟ إلا أن الشائع بينهم أنه لا يشترط فيه ذلك لأن هناك فروقاً واضحة بين المجدد والمجتهد منها :-

1- لا يهم المجدد استنباط الأحكام ، وتفريع المسائل، بقدر ما يهمه المحافظة على شعائر الدين وتقليل شرائعه، إلا أن هذا لا يمنعه أن يكون مجتهداً .

2- مهمة المجتهد فقهية أكثر منها إصلاحية .

3- المجتهدون كثيرون، والمجددون قليلون، من هنا يظهر لنا أن "الاجتهاد الذي هو مهمته في كل فقيه غير التجديد الذي هو أوسع دائرة وأبلغ أثراً في إحياء معالم الدين، وإن كانا يتلاقيان أحياناً"، (القاضي، 2008م، ص48)، فالاجتهاد في هذه الحالـة يكـون جـزء من التجديد، ومعنى من معانيه المتنوعة، فتتداخل العلاقة بينهما، إذ أن كل مجدد مجتهد لا العكس، فميدان التجديد يتسع ليشمل كل ما من شأنه أن يندرج تحت اسم (الدين) من عقيدة، وفقه، وتفسير، وعبادة، وأخلاق وغيرها، وذلك بإحياء معالمها وتصحيح ما يطرأ عليها من انحراف، أما الاجتهاد فميدانه يدور حول الاحكام العملية المندرجة تحت ما يسمى (الفقه) فقط، وفي ضوء هذا التوضيح أصبح بالإمكان تعريف التجديد بأنه "إحياء ماندرس بالإسلام وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة مستجداتها"، (السيوطي، 1983م، ص19) ، في حين يدور الاجتهاد حول محور واحد، وهو استنباط الحكم الشرعي مما أعتبره الشارع دليلاً .

ثانياً:- صفات المجدد وشروطه

بناءً على ما تقدم، أصبح بالإمكان استنتاج الشروط أو الصفات الواجب توفرها في المجدد والتي منها:-

1- أن يكون مخلصاً في عمله، ولا يبغي من وراء ذلك غير وجه الله تعالى، (القاضي، 2008م، ص48) ، وهو تماماً ما أراده الرسول عليه الصلاة والسلام من وراء التجديد، فقد دعا بأن يكون القائمون به ربانيين في مواقفهم ومنطلقاتهم، ولا يعيرون اهتماماً لأمور الدنيا التي تهون في سبيل بلوغ الهدف الأسمى، والمتمثل في مرضات الله عز وجل قال تعالى: (وعجلت إليك ربي لترضى) سورة طه: (الآية 84).

2- أن يتصف المجدد بصفاء الذهن، والفكر المستقيم بلا عوج، والقدرة النادرة إلى تبين سبيل القصد بين الإفراط والتفريط، مع مراعاة الاعتدال بينهما، والقدر غلى التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة، والشجاعة والجرأة التي تعينه على مواجهة سير الزمان المنحرف، (المودوي، 1968م، ص52) ، فعلى المجدد أن يشمل

بتجديده الفكر والسلوك، النظر والعمل، بغية تصويب الأفهام والأفكار مما قد يشوبها من تشويش وشبهات، طلباً لإحياء العلم النافع والفهم الصحيح للإسلام، إذ لابد أن يجتهد المجدد كي يترك أثراً طيباً في نفوس أهل زمانه، وفي سلوكهم وتصرفاتهم وكذلك، وعلى تلاميذه وأقرانه ممن سيقومون بتكملة المسيرة معه ومن بعده، بعد أن يكون قد ترك فيهم من فكره ومن علمه ما يرشدهم في حياتهم العلمية والعملية، ما يمكنهم من إفادة عصرهم ومجتمعهم، وأمتهم الإسلامية برمتها .

المحور الثالث: من صور التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر

لاشك أن الفكر الإسلامي الذي امتد تاريخه عبر أربعة عشر قرناً، لم يحافظ على نقائه الإسلامي في مختلف مناحي حياة الإنسان والمجتمع، حيث ساهم نتاجه الحضاري والثقافي والإنساني بشكل فاعل في الفكر البشري الحديث، وخير دليل على ذلك الثورة الصناعية التي قامت في أوروبا في القرن الثامن عشر، والقائمة على المنهج العلمي التجريبي، فقضية التجديد كانت الدعامة التي بُنيت عليها أسس الفكر العربي الإسلامي في عصرنا الحالي، لما يتطلب من استيعاب للمتغيرات على مر الزمن متمحوراً حول:(اللغة، والثقافة، والتاريخ).

لما كانت دورة حياة أي حضارة تمر بحلقات من نمو إلى قوة إلى ضعف وركود، كان لزاماً على الفكر الإسلامي إيقاظ نفسه من جديد خاصةً بعد بسط الاستعمار الغربي على العالم العربي الإسلامي، فلم يبق أمامنا كمسلمين سوى سلاح الدفاع عن (الهوية) ضد تيار (التغريب)، وما تبعها من غزو فكري حاول قدر الإمكان زعزعة ثوابت الفكر الإسلامي، فكان لابد من بلوغ حركت تجديد لإحياء حضارة الإسلام من جديد وبث الروح فيها، فظهر عدد من المصلحين ممن مثل بمجهوداته الجبارة رمزاً من رموز التجديد في الفكر الإسلامي، وهم كثر منهم على سبيل المثال: رفاعة الطهطاوي*، الذي وضع في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) خلاصة موقفه من الغرب، فكان كتابه "نموذجاً للعلاقة السوية مع الغرب، وللاستغراب الصحيح المؤسس على أرضية ثابتة من الفخر والاعتزاز بالإسلام"، (إلهامي، 2015م، ص209)، واصفاً في كتابه هذا اللغة، والأدب، والسياسة، والقانون، والعادات، وقد أفادته المدة التي قضاها مغترباً في فرنسا، حين كان ضمن البعثة العلمية التي أرسلت لفرنسا، قضى فيها خمس سنوات أتقن خلالها الفرنسية، وقرأ أبرز الأعمال الفكرية، مدوناً تفاصيل رحلته في هذا الكتاب، هذا إلى جانب نشاطه في مجال الترجمة، ولطالما كان يدعو إلى ضرورة مخالطة الغرب للانتفاع بما عندهم، يقول : مخالطة الأغراب، لاسيما إذا كانو من ذوي الألباب تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجاب، (الطهطاوي، 2010م، ص499)، حيث استطاع بذلك تكوين منهج فكري مستنير امتزجت فيه أصالة الفكر الإسلامي بروح العصر بما فيه من علم ومعرفة، إلى جانب اهتمامه بقضايا عدة جوهرية كالتعليم، والتربية، والمرأة، وغيرها .

أما خير الدين التونسي*، كان ذلك ممن عاصر الطهطاوي، واشترك معه في عديد الآراء ووجهات النظر، رغم اختلاف منهج التونسي عن الطهطاوي في مواضع مختلفة منها دعوته إلى "تعاون رجال الدين والسياسة لخدمة المجتمع ... حتى تحفظ ثوابت الدين، ولا يفرط فيما ينفع الأمة من أمور الدنيا بدعوة عدم ورود النص فيها"، (طبَّابي،2021م، موقع)، فتأسيس المجتمع الحديث في نظره يتوقف على اصلاح النظام السياسي والأخذ بمبدأ الشورى وتوزيع الثروة، وإشاعة مبادئ الحرية، والمساواة، وثقافة الحقوق والواجبات في المجتمع الإسلامي، مصرحاً أن سبب ما نحن فيه من

---

* رفاعة بن رافع الطهطاوي:(1801–1874م) ركن من أركان النهضة المصرية الحديثة، ولد في طهطا في، تلقى دروسه في الأزهر، عُين رئيساً للبعثة الطلابية التي أُرسلت إلى فرنسا،من مؤلفاته:(تخليص الإبريز في تلخيص باريز). خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ج1، بيروت– لبنان، 2002 م .

* خير الدين التونسي:(1801–1899م) جركسي الأصل، وزير، مؤرخ قدم صغيراً إلى تونس فاتصل بصاحبها الباي أحمد، تعلم العلوم الدينية، واللغات التركية والفارسية والعربية، تقلب في كثير من المناصب السامية، من مؤلفاته:(أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك). خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الأعلام، ج4، مرجع سابق.

انتكاسات عائد بالدرجة الأولى إلى: الأمراء والعلماء، فمن آرائه أنه "لا يظهر لملوكها سبب قوي في الامتناع (عن الإصلاح) إلا حب الاستبداد الموصل للشهوات"، (التونسي، 1284ه، ص49،50).

لقد كانت لجهود الطهطاوي والتونسي خاصة في مجال السياسة والاجتماع ، أثرها البالغ في تشكيل مرحلة شهدها العالم العربي الإسلامي أتسمت بظهور تيار الوحدة الذي كان بقيادة جمال الدين الأفغاني* ، الذي دعا كذلك لاعتماد منهج التأويل بما يتماشى مع روح الحداثة، وبما يتماشى مع متطلبات العصر، حيث كون خلال سفره إلى أوروبا (جماعة العروة الوثقى) ، وعمل على اصدار جريدتها في ظل تحديات خطيرة يمر بها العالم العربي والإسلامي، تمثلت في سقوط أجزاء منه،(الجزائر، تونس، مصر)، في براثم الاستعمار الغربي،(طبَّابي، 2021م، موقع)، ومن المبادئ التي نادى بها :-

أولاً:- تحرير الفكر الديني من قيود التقليد، وفتح باب الاجتهاد والفقه بالدين، والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية .

ثانياً:- التوفيق بين العلم والإيمان، (لمحافظة، 1987م، ص73)، فالأفغاني على يقين أن لا خلاف بين ما جاء في القرآن الكريم وحقائق العلم، وفي حال ظهور خلاف ما يكون ذلك دلالة على عجز في تفسير الآيات القرآنية، وحل ذلك الاعتماد على التأويل.

في حين اختلف محمد عبده** عن الأفغاني في المنهج والأسلوب رغم مشاركته له في مشروعه النهضوي التأسيسي، حيث كان داعياً إلى إقامة علم اجتماع على أسس علمية، منادياً بالتفكير الفردي الحر، فالإسلام في نظره يحوي "عنصر العقلانية والعلم الاجتماعي، والقانون الخلقي الذي ينظم حياة الناس"، (الحاج، 2000م، ص415)، وبشيء من الإمعان وتدقيق النظر، نلحظ تقارباً جلياً في الجوانب الفكرية عند كل من الطهطاوي و عبده، الذي استقى روح التجديد في الإسلام من الفلسفة الغربية الاجتماعية التي عايشها أثناء فترة وجوده في فرنسا، لدرجة انه حاول التوحيد بين المفاهيم التقليدية للفكر الإسلامي، وبين الأفكار الغربية، ما كان سبباً في حدوث "عملية تحوير المصطلحات الدينية، واستعمال ما يعادلها على المستوى الحديث"، (الحاج، 2000م، ص416)، هذا إلى جانب اعتباره للتربية السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع وتحقيق النهضة، فالأفراد الذين ينشؤون على قدر من حسن الخلق والتفكير المتوازن في نظره، بإمكانهم إدارة الحكم في الدولة بشكلٍ موفق، لذا عمل جاهداً على إدخال عديد الإصلاحات في المناهج التعليمية، منها اقتراحه تعميق دراسات الفلسفة وعلم المنطق باعتبارهما أدوات فعالة لتحرير الفكر وتنويره، لدرجة عده البعض اعتزالياً يرتدي ثوب المعاصرة لما أولاه من قيمة للعقل، إلا أن عبده كان فكره مستنيراً جامعاً للعقل والوجدان معاً، وهو بهذا يكون قد فتح بفكره نافذة أخرى للتجديد فتحت المجال واسعاً ليبرز غيره ممن جاء من المصلحين من بعده حاملاً لواء الإصلاح والتجديد.

المحور الرابع :التجديد الذي نريد

دون شك فإن من أكبر التحديات التي يواجهها فكرنا الإسلامي اليوم، هو تحدي (الغرب)، وهو تحدياً يأخذ أبعاداً عدة: سياسية، وعسكرية، ثقافية، وفكرية، حيث دخل (الآخر) الغرب بدعوى الحرية والمساواة واحترام الحقوق، وما أن أحكم سيطرته علينا وعلى مقدراتنا، صار لا يخجل من المجاهرة بعداوته الحضارية والدينية للإسلام والمسلمين على كافة الأصعدة، بل أنه لم يتوان عن "المطالبة بأن تغير الدول الإسلامية مناهج تعليمها، وطرائف تفكيرها، وتعيد النظر فيما

---

* جمال الدين الأفغاني:(1838 – 1897م) مفكر إسلامي ومصلح ديني وسياسي واجتماعي، وصاحب دعوة لتحرير الأمم الإسلامية من الاستعمار، ولد بأسعد أباد وتوفي بنّساق كاس بتركيا ..، رمى بذور دعوته فيما طاف به من بلاد فارس والهند والحجاز من أخصب فترات زمانه ما قضاه بمصر 1871–1879 م، وهو من أقام الجامعة الإسلامية وأصدر جريدة العروة الوثقى . عبد الوهاب الكيالي، موسوعة سياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1994 م .

** محمد عبده:(1849–1905م) مفكر ديني إصلاحي مصري ولد في قرية (محلة نصر)من قرية دلتا النيل، درس في الأزهر علم المنطق والفلسفة واللاهوت الصوفي، من مؤلفاته:(رسالة في التوحيد ،الإسلام والرد على منتقديه). كميل الحاج . الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق .

نقبله، وما لا نقبله من سلوك الناس فيها، ليتلائم هذا كله مع ما تراه الحضارة الغربية الغالبة صحيحاً"،(العوا، 2006م،ص7).

نحن في أمس الحاجة لتجديد إسلامي يتماشى مع ضوابط ديننا، يمارسه مؤهلون ذوي خبرة، ممن هم على دراية بأصول الإسلام وفروعه، شريطة أن يسير على نهج النظر والاستدلال، ورفض كل قديم واتباع الهوى، لاسيما وان محاولات التجديد التي شهدها القرن الماضي (الرابع عش هجري – العشرون ميلادي)، كانت جلها تهدف إلى الرفع من روح مقاومة الاستعمار الذي يواجه الأمة الإسلامية بكل قوة بقصد الإصلاح بالدرجة الأولى، خاصةً بعد رحيل المستعمر، في حين أن من أكبر المخاطر التي تواجهنا في العصر الحالي هي كيفية مواجهة (الآخر) بنظامه العالمي الجديد الذي كبلنا به بدعوى التقدم والتحضر ومجارات العصر، وتحديه في هذه الحالة هو تحدي (للهوية الإسلامية)، يتطلب منا تجديد النظر وتحديد معالمها الثقافية، لاسيما وأن هوية كل مجتمع تعني (لغته ، عاداته، تقاليده، تراثه الشفهي والمكتوب).

إن التجديد الذي نريد هو الذي يرد على الغرب الذي ما فتئ يتطاول على عقيدتنا، كتابنا، وديننا، الأمر الذي يستوجب الشب عن طوق الغرب بعدم موالاته ورفضه بشدة، فالتجديد الحق هو الذي يعكسه قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ سورة الممتحنة: (الآيـــة 9) .

إن التجديد لا يعني الانسلاخ عن القديم واهماله، ولا هو استيراد لما هو عليه الغرب من حضارة مادية وهو للأسف الواقع الذي حدث ويؤمن به الكثير من دعاة التجديد والتحديث! "فيتم حينها الوقوع في المحظور، والتحيز للثقافة الغالبة، فيحث انقلاب على مستوى الوعي والفكر الاجتهادي"، (أعريوة، 2018م، موقع)، فنحن لا نريد تجديداً لا تراعى فيه خصوصيات الأمم والشعوب، فلنسعى جاهداً لجعله متشرباً لتفاصيل كل تراث الأمة، كونه تراكم لعديد الخبرات والتجارب المعيشة، تجديداً يحمل سمة التأصيل الثقافي لفكرنا العربي الإسلامي وتراثه، تجديداً ننفذ من خلاله في تخوم الآخر لنكتشف المساوئ والأزمات ونحاول حلها وتجنبها .

االنتائج

من خلال ما تقدم، نصل إلى عرض جملة من النتائج على النحو التالي:

1- لابد أن نضع باعتبارنا ضرورة أن يكون التجديد ليس هدفاً لذاته، بل أن يكون التجديد لأجل التجديد فقط لا غير، أي أن يكون وسيلة لتلبية حاجات المجتمع المتجددة، للحاق بعجلة التقدم والتطور السريعة، بما يتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، لاسيما وأن الحاجة للتجديد تتجدد بتجدد الحاجة إليها .
2- لابد من توفر شروط معينة في المجدد منها: أن يكون ذو فكر مجتهد، منفتح على الحياة والواقع، مدركاً لما تمر به أمتنا العربية والإسلامية من أزمات وإشكالات على كافة أصعدة الحياة .
3- إن مساحة التجديد في الفكر الإسلامي ميدانها الفكر الإسلامي والموروث المعاصر ، (الانتاج الفكر للمفكرين المجتهدين المتقدمين والمتأخرين)، كما يدور حول اكتشاف قضايا، ومناهج، ورؤى، أي زوايا عامة، بمعنى آخر (متغيرات)، أما الثوابت الدينية (الأصول الإسلامية المقدسة) فهي خالدة، وباقية، ومقدسة .
4- لابد أن تكون قراءاتنا المختلفة للدين، قوامها منهجيات أساسها مصدري التشريع الإسلامي: (القرآن الكريم والسنة النبوية)، لا منهجيات غربية بعيدة عن ضوابط العقيدة والشريعة الإسلامية .
5- أسهم عدد من الرواد المصلحين العرب والمسلمين، في الرفع من راية التجديد والإصلاح، من خلال ما بذلوه من جهود حضارية لا تخفى على أحد، جنى من ورائها الفكر الإسلامي ثماراً فكرية وحضارية، أسهمت بشكل فاعل في الرفع من عجلة الحضارة والتقدم في المجتمع الإسلامي، كالطهطاوي، والتونسي، والأفغاني وغيرهم، لدرجة يمكن أن تعد جهودهم شرارة التنبيه لأهمية التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رغم أنه لم يكن لديهم فضل السبق في ذلك، فتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام كان كافياً للتأكيد على أهمية ذلك، على صعيد الفكر الإسلامي بعامة .
6- التجديد الحق، هو الذي يستوجب عدم موالاتنا للغرب، بل رفضه والرد عليه، كما لا يعني الانسلاخ عن القديم، والبقاء في وضع الجمود والثبات، بل فاعلية إنسانية قوامها أخذ المبادرة طلباً للتقدم والنماء .

الخاتمة

لا شك أن الحوادث المستجدة، وما تميز به الواقع اليوم من سرعة تطور، تجعلنا في مواجهة دائمة مع أنواع شتى من التجديد، ما يعني أن الواقع المعيش يفرض علينا باب الحديث عن التجديد ، شريطة أن يخضع لضوابط معينة تجعله متوائم مع متطلبات الحياة في المجتمع الإسلامي .

إن ما نشهده اليوم من انعقاد للمؤتمرات، والندوات، والملتقيات بالخصوص، ما هو إلا انعكاس لمدى حرص كل من أهتم بمسار الفكر الإسلامي ومنهجه، بغية حماية هذا المطلب الملح من الاستهداف الذي قد يكون مخفياً وراء شعار من الشعارات، فحرصنا كمسلمين على ضرورة استمرار عملية التجديد، لابد أن يكون متزامناً مع حرصنا على سلامة مناهج التجديد وما تحمله من أصالة إسلامية .

بناءً على ما تقدم، نلمس مدى أهمية ضرورة الالتزام بالقواعد والشروط التي تضبط عملية التجديد، بحيث تفرضها الشريعة لا محال وتكون مستقاة أساساً من النصوص الشرعية، وذلك لن يتأتى إلا بتحقيق وعي شامل ودقيق عن الإسلام، يكون مصدره الأساسي (القرآن الكريم، والسنة النوية الشريفة)، لإدراك حقيقة مقاصده، وغاياته، وألا يفتح باباً للاجتهاد، إلا في إطار تحكمه ضوابط محددة، وتحت إشراف ذوي الاختصاص في علوم اللدين، حتى لا يسمح بإشاعة الفوضى الموصلة للعبث في شريعة الله سبحانه وتعالى .

المصادر والمراجع

- **المصادر**

☼ القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني .

- **المراجع**

1- أبو الأعلى المودوي، موجز تاريخ تجديد الدين، دار الفكر، بيروت، 1968م .
2- أحمد عرفات القاضي، تجديد الخطاب الديني، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2008م .
3- خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة الممالك، المطبعة التونسية، ط1، تونس، 1284ه .
4- رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب، الأعمال الكاملة، ج1، تحقيق محمد عبده، مكتبة الأسرة، دط، القاهرة، 2010م .
5- سعيد شبَّار، مختصر كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، أمريكا، 2016م.
6- سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب الملاحم، ما يذكر في قرن المائة، رقم الحديث 4293، جمعية المكنز الإسلامي، ج12.
7- عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م.
8- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر، دط، بيروت، 1987م .
9- محمد إلهامي، نحو تأصيل إسلامي لعلم الاستغراب، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015م.
10- محمد سليم العوا، التجديد في الفكر الإسلامي (محاضرة)، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، منتدى الفكر الإسلامي، 2006/2/31م .
11- محمد عصمت بكر، مرجعية القرآن للتراث، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1،2001م .
12- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1999م .

- **المعاجم والموسوعات**

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1971م .
2- كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان، ط1، لبنان،2000م .



● **المواقع الإلكترونية**

1- أحمد طبَّابي، الفكر العربي الإسلامي وحتمية التجديد . 2021-3-9 https://www.aljazera.net/blogs

2- محسن اعريوة، التجديد إعمال أم إهمال للتراث . 2018م-4-4 https://aljazera.net/blogs